Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زيادةُ المرء فى دنياه نقصانُ وربحهُ غيرَ محضِ الخيرِ خسران

كما أن أحمد شوقى ، المتوفى عام ١٩٣٢ ، عارض قصيدة أبى البقاء فى نونيته الرائعة ، التى قالها فى ذكرى محنة دمشق على يد الاستعمار الفرنسى ومطلعها :

قمْ ناجِ جلّق وانشدْ رسمَ من بانوا مشتْ على الرسمِ أحداثٌ وأزمانُ

ولكن أمير الشعراء ، كما هو متوقع منه ، حلق فى سماء الشعر عاليًا ، وترك الكل دونه على الأرض ، بما فيهم أبو البقاء .

ولم تقف شهرة مرثية أبى البقاء عند العالم الإسلامى وإنما جازت شهرتها إلى العالم الكاثوليكى فى الأندلس . ويرى الدكتور ليون كارلونيرو إى سول Léon Carlonero y Sol، وكان يعمل أستاذًا للغة العربية فى جامعة إشبيلية فى أواخر القرن الماضى ، أن مرثية الشاعر الإسبانى خورخى منريكى Jorge Manrique (١٤٤٠ – ١٤٧٩ م) فى رثاء والده ، متأثرة إلى حد كبير بقصيدة أبى البقاء الرندى . وأن الشاعر الكاثوليكى لابد أن يكون قد عرف قصيدة الشاعر المسلم . فى نصها العربى أو مترجمة إلى الإسبانية ومتداولة شفاها ، مع مراعاة الفارق فى الدافع إلى كل منهما . ويشاركه فى هذا الرأى خوان باليرا Juan Valera من كبار أدباء الإسبان فى العصر الحديث (١٨٢٤ – ١٨٠٥) ؛ وقد قام باليرا بترجمة مرثية أبى البقاء إلى اللغة الإسبانية ، نقلا عن الترجمة الألمانية ، على نفس الوزن الذى نظمت فيه أشعار خورخى منريكى .

ونظرة عابرة إلى قصيده الشاعر الإسبانى يتبين منها المرء أن ثمة أمرين كان فيهما مقلدا للشاعر العربى على التأكيد . الأول هو الحديث عن تلون الحياة ، وارتفاعها وانخفاضها ، وتعاور الحزن والسرور على الإنسان ، وثانيهما استمداده العبرة من التاريخ واتخاذه شاهدا . ولو أن الشاعر الإسبانى استمدها من تاريخ أمته قديمًا وعلى أيامه ، من ملوك الرومان والقوط فى الماضى . والإسبان المعاصرين له ، على حين انحصرت إشارات الشاعر العربى فى ملوك الشرق القديم . والجدير بالذكر أن عدد فقرات القصيدة الإسبانية تساوى عدد أبيات قصيدة أبى البقاء . وبعيد عن التصور أن الأمر جاء صدفة واتفاقًا .